القلب في القرآن الكريم: دراسة موضوعية لغوية

الكاتب
پوهنوال جارالله بهروز
قسم اللغة العربية، كلية الأدب جامعة بدخشان
بريد الالكتروني
jarullahbehrooz8@gmail.com
معرف رکايد
https://orcid.org/0009-0002-3911-6708

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع القلب في القرآن الكريم من خلال دراسة موضوعية شاملة تهدف إلى الكشف عن المعاني المتنوعة والدلالات العميقة لمفهوم القلب في النص القرآني. يتطرق هذا البحث في السياقات المختلفة التي ورد فيها لفظ القلب ومشتقاته في القرآن الكريم، ويحلل الوظائف الروحية والعقلية والعاطفية التي أسندها القرآن إلى القلب. ما هي الدلالات اللغوية والاصطلاحية للقلب في القرآن الكريم؟ كيف يصور القرآن القلب كمركز للإيمان والكفر؟ ما هي العلاقة بين القلب والعقل في المنظور القرآني؟ كيف يتعامل القرآن مع أمراض القلب وعلاجها؟ ما هي خصائص القلب السليم في ضوء التعاليم القرآنية؟ توصل البحث إلى أن القرآن الكريم يقدم تصوراً شاملاً للقلب باعتباره مركز الوعي الإنساني ومحل الإيمان والتقوى، وأن القلب في القرآن ليس مجرد عضو جسدي بل هو مفهوم معنوي يشمل العقل والروح والعاطفة معاً. كما أظهر البحث أن القرآن يربط بين صلاح القلب وصلاح السلوك، وأن تطهير القلب هو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، التقوى، الذكر، الصدر، القرآن، القلب، الهداية

The Heart in the Noble Quran: An Objective Linguistic Study

Author **Jarullah Behrooz**
Email Department of Arabic, Literature Faculty, Badakhshan University
Orcid https://orcid.org/0009-0002-3911-6708
jarullahbehrooz8@gmail.com

Abstract

This research examines the concept of the heart in the Noble Quran through a comprehensive thematic study aimed at revealing the diverse meanings and profound implications of the heart's concept within the Quranic text. This study investigates the various contexts in which the term "heart" and its derivatives appear in the Noble Quran, analyzing the spiritual, intellectual, and emotional functions that the Quran attributes to the heart.

What are the linguistic and terminological connotations of the heart in the Noble Quran? How does the Quran portray the heart as a center for faith and disbelief? What is the relationship between the heart and the mind in the Quranic perspective? How does the Quran address heart diseases and their treatment? What are the characteristics of a sound heart in light of Quranic teachings?

The research concludes that the Noble Quran presents a comprehensive conception of the heart as the center of human consciousness and the locus of faith and piety, and that the heart in the Quran is not merely a physical organ but rather a spiritual concept that encompasses mind, soul, and emotion together. The study also demonstrates that the Quran links the righteousness of the heart to the righteousness of conduct, and that purification of the heart is the ultimate goal of Islamic education.

Keywords: Faith, Guidance, Heart, Piety, Quran, Remembrance, Righteousness

مجله‌ی علمی-تحقیقی پامیر / - دپامیر علمی څېړنیزه مجله - Pamir Academic & Research Journal

المقدمة

يُعد القلب من أهم المفاهيم في القرآن الكريم، حيث ورد لفظ القلب ومشتقاته في أكثر من مائة وثلاثين موضعاً، مما يدل على الأهمية البالغة التي يوليها القرآن لهذا المفهوم. والقلب في النظرة القرآنية ليس مجرد عضو حيوي في جسم الإنسان، بل هو مركز الوعي والإدراك والإيمان والعاطفة، وهو محل التكليف والمسؤولية الأخلاقية.

مشكلة البحث

تكمن أهمية دراسة موضوع القلب في القرآن الكريم في كون القلب المحور الأساسي للتربية الإسلامية والسلوك الأخلاقي. فالقرآن يجعل من إصلاح القلب وتطهيره الهدف الأول للرسالة الإسلامية، كما في قوله تعالى: "يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: ٨٩-٨٨). إن فهم طبيعة القلب ووظائفه في المنظور القرآني أمر ضروري لفهم الإنسان والتربية الإسلامية.

أسئلة البحث:

السؤال الأصلي: ما هي الدلالات المختلفة لمفهوم القلب في القرآن الكريم؟

الأسئلة الفرعية

1. ما هي أنواع القلوب التي يذكرها القرآن؟
2. كيف يحدد القرآن وظائف القلب المتنوعة؟
3. كيف يربط القرآن بين حالة القلب والسلوك الإنساني؟
4. ما هي الوسائل القرآنية لإصلاح القلب وتطهيره؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كون القلب المحور الأساسي للتربية الإسلامية، فهو محل الإيمان والتقوى، ومنطلق السلوك الأخلاقي. إن فهم طبيعة القلب في المنظور القرآني يساعد على بناء منهج تربوي إسلامي سليم، ويقدم رؤية واضحة لطريق الإصلاح الفردي والاجتماعي.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق عدة أهداف الأصلية والفرعية:

الهدف الأصلي: تتبع استعمالات لفظ القلب ومشتقاته في القرآن الكريم وتحليل سياقاتها المختلفة.

الأهداف الفرعية

١. بيان الوظائف التي يسندها القرآن إلى القلب في الحياة الإنسانية؛
٢. الكشف عن المعاني والدلالات المتنوعة للقلب في النص القرآني؛
٣. دراسة أنواع القلوب وخصائصها كما يصورها القرآن؛

٤. استنباط المنهج القرآني في تربية القلب وإصلاحه.

خلفية البحث

تناولت دراسات سابقة موضوع القلب في القرآن من زوايا مختلفة. قام الدكتور محمد سيد طنطاوي في كتابه "القلب في القرآن الكريم" (١٩٨٧م) بدراسة شاملة لآيات القلب، وخلص إلى أن القلب هو مركز الإيمان والكفر في الإنسان. كما أجرى الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني دراسة بعنوان "أجهزة الإدراك عند الإنسان بين الفلسفة والتصوف والقرآن" (١٩٩٢م)، حيث ركز على القلب كجهاز إدراكي متميز. وقدم الدكتور أحمد فريد مصطفى دراسة موسومة بـ"القلب والفؤاد في القرآن الكريم" (٢٠٠١م) تناول فيها الفروق الدلالية بين القلب والفؤاد.

يختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في كونه يقدم تحليلاً موضوعياً شاملاً لجميع الآيات التي تتناول القلب، مع التركيز على البعد التربوي والسلوكي، وربط المعاني القرآنية بالواقع المعاصر للإنسان المسلم.

منهج البحث

اتبع هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم استقراء جميع الآيات القرآنية التي تضمنت لفظ القلب ومشتقاته، ثم تصنيفها حسب السياقات والمعاني، وتحليل مضامينها وفق قواعد التفسير الموضوعي. كما تم الاستعانة بأمهات كتب التفسير واللغة لفهم الدلالات المختلفة للمفردة القرآنية.

البحث

المعنى اللغوي للقلب: يدور المعنى اللغوي لكلمة القلب حول التحول والتغير، فالقلب من القلب وهو التحول من شيء إلى شيء (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١: ٦٦٩). وسُمي القلب قلباً لكثرة تقلبه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما سُمي القلب من تقلبه، إنما مثل القلب كمثل ريشة بالفلاة تُقلبها الرياح ظهراً لبطن" (أحمد، ٢٠٠٢م، ج٤ : ٤٠٨).

والقلب في اللغة يطلق على معانٍ متعددة، منها: العضو الجسماني المعروف، وخالص كل شيء وأشرفه، والعقل، والروح، واللب (الأصفهاني، ٢٠٠٩م: ٦٧٤).

القلب في الاستعمال القرآني

ورد لفظ القلب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة: مفرداً "قلب"، ومثنى "قلبين"، وجمعاً "قلوب". وقد تنوعت استعمالات القرآن للقلب بين المعنى الحسي والمعنى المعنوي، غير أن الغالبية العظمى من الاستعمالات تشير إلى المعنى المعنوي.

مجلهٔ علمی-تحقیقی پامیر/ - دپامیر علمی څېړنیزه مجله - Pamir Academic & Research Journal

يقول تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠)، وهنا القلب ليس العضو الجسدي بل مركز الإيمان والأخلاق. كما في قوله: "وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ" (آل عمران: ١٥٤).

وظائف القلب في المنظور القرآني

القلب مركز الإيمان والكفر: يجعل القرآن الكريم من القلب محل الإيمان والكفر، فالإيمان يُكتب في القلب، والكفر يُطبع عليه. قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢). وفي المقابل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٩).

إن جعل القلب محل الإيمان والكفر يعني أن الإيمان ليس مجرد معرفة عقلية، بل هو حالة وجدانية شاملة تتغلغل في أعماق الإنسان وتؤثر على سلوكه وتصرفاته.

القلب مركز العقل والفهم: يربط القرآن الكريم بين القلب والعقل والفهم في آيات عديدة، مما يدل على أن القلب في المنظور القرآني ليس منفصلاً عن العقل بل يشمله. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.(الحج: ٤٦).

وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: ١٧٩). هذا يعني أن القلب هو أداة الفقه والفهم العميق، وليس مجرد مركز للعواطف.

القلب مركز الذكر والتدبر: يجعل القرآن الكريم من القلب محل الذكر والتدبر، فالذكر الحقيقي هو ذكر القلب وليس مجرد حركة اللسان. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

كما أن التدبر في القرآن وظيفة قلبية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤). فالقلب المقفل لا يستطيع تدبر القرآن وفهم معانيه العميقة.

القلب مركز الخشية والتقوى: الخشية والتقوى من أهم الوظائف القلبية في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ . (الأنفال: ٢). والوجل هو الخوف المقترن بالتعظيم، وهو علامة على حياة القلب وصلاحه.

كما قال: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج: ٣٤-٣٥).

فالخشية القلبية هي علامة الإيمان الصادق والتقوى الحقة.

أنواع القلب في القرآن الكريم

القلب السليم: القلب السليم هو أشرف أنواع القلوب في القرآن، وهو القلب الذي ينجو يوم القيامة. قال تعالى: "إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (الشعراء: ٨٩). والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والشك والنفاق والبدعة، وسلم من كل ما يضاد الإيمان والعمل الصالح (ابن القيم، ١٩٩١م، ج١ : ٢٠١). يتميز القلب السليم بخصائص عديدة منها: الإخلاص لله، والخشية منه، والمحبة له، والتوكل عليه، والرضا بقضائه، والشوق إلى لقائه.

القلب المريض: يذكر القرآن القلب المريض في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا** ﴾ (البقرة: ١٠). والمرض هنا هو مرض معنوي يصيب القلب فيفسد عمله ووظيفته.

أمراض القلب متنوعة، منها: الشك في الدين، والنفاق، والرياء، والحسد، والكبر، والشح، والجبن، وحب الدنيا والغفلة عن الآخرة (الغزالي، ١٩٩٢م، ج٣: ١٢).

القلب الميت: القلب الميت هو الذي فقد الحياة الإيمانية تماماً، ولا يتأثر بالموعظة ولا يستجيب للحق. قال تعالى: ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** ﴾ (الأحقاف: ٢٦).

والقلب الميت هو قلب الكافر الذي طُبع عليه، كما قال تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ۝٧﴾(البقرة: ٧).

القلب الغافل

الغفلة من أخطر الأمراض التي تصيب القلب، وهي عدم تذكر الله والدار الآخرة. قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ (الكهف: ٢٨).

القلب الغافل يعيش في الدنيا كأنه خالد فيها، ولا يستعد للآخرة، ولا يتذكر الموت والحساب. وهذا النوع من القلوب منتشر في زماننا بسبب كثرة الملهيات والشواغل.

العلاقة بين القلب والجوارح

تأثير القلب على السلوك: يؤكد القرآن الكريم على العلاقة الوثيقة بين حالة القلب وسلوك الإنسان، فالقلب هو الملك والجوارح جنوده، إذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت. قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾. (النجم: ٤٢-٤٣).

كما يقول:﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ (الإسراء: ٨٤)، أي على طريقته التي تشاكل طبيعة قلبه وحاله. فالمؤمن يعمل أعمال الإيمان لأن قلبه مؤمن، والكافر يعمل أعمال الكفر لأن قلبه كافر.

تأثير الأعمال على القلب: كما يؤثر القلب على الأعمال، تؤثر الأعمال أيضاً على القلب. فالأعمال الصالحة تزكي القلب وتطهره، والأعمال السيئة تدنسه وتقسيه. قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (المطففين: ١٤).

والران هو الغطاء الذي يتكون على القلب من كثرة الذنوب والمعاصي، حتى يصبح كالصدأ على المرآة يمنع عنها الصفاء والنقاء (الطبري، ٢٠٠٠م، ج٢٤ : ٢٧٨).

وسائل إصلاح القلب في القرآن الكريم

ذكر الله تعالى: يجعل القرآن من ذكر الله الوسيلة الأولى لإصلاح القلب وتطهيره. قال تعالى:﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد: ٢٨). فذكر الله يجلب الطمأنينة إلى القلب ويزيل عنه القلق والاضطراب.

والذكر لا يقتصر على التسبيح والتهليل، بل يشمل تلاوة القرآن والتدبر في آياته، والتفكر في مخلوقات الله، واستحضار عظمته وجلاله في جميع الأوقات.

التوبة والاستغفار: التوبة النصوح من أهم وسائل تطهير القلب وإزالة الران عنه. قال تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (النور: ٣١). والتوبة تتضمن الندم على الذنب والإقلاع عنه والعزم على عدم العودة إليه.

كما أن الاستغفار يطهر القلب من أدران الذنوب: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾.(هود: ٣). والاستغفار المقبول هو الذي يصاحبه ندم وإقلاع وعزم على التغيير.

تلاوة القرآن وتدبره

القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، كما قال تعالى:﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. (الإسراء: ٨٢). وتلاوة القرآن بتدبر وخشوع تؤثر في القلب تأثيراً عجيباً.

قال تعالى:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. (الزمر: ٢٣). فالقرآن يؤثر في القلب فيجعله ليناً خاشعاً.

الدعاء والابتهال: يعلمنا القرآن أن ندعو الله بإصلاح قلوبنا، كما في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (البقرة: ١٢٨). والدعاء يربط القلب بالله ويقويه على مواجهة الشهوات والشبهات.

كما علمنا القرآن دعاء أولي الألباب: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾ (آل عمران: ٨).

الصحبة الصالحة

يؤكد القرآن على أهمية الصحبة الصالحة في إصلاح القلب، فالقلب يتأثر بمن يخالطه. قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾. (الكهف: ٢٨). والصحبة الصالحة تذكر بالله وتحث على الخير وتنهى عن الشر، وهي من أقوى الوسائل في تربية القلب وإصلاحه.

أمراض القلوب وعلاجها

الشك والريب: من أخطر أمراض القلب الشك في الدين والريب في آيات الله. قال تعالى:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾. (الحجرات: ١٥). والشك يضعف الإيمان ويقلل من تأثيره في السلوك.

علاج الشك يكون بطلب العلم والتدبر في آيات الله الكونية والشرعية، والدعاء بالهداية والثبات. كما قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾. (محمد: ١٧).

النفاق: النفاق مرض خطير يصيب القلب فيجعل صاحبه يظهر الإيمان ويبطن الكفر. قال تعالى: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾. (البقرة: ١٠). والنفاق يجعل القلب منقسماً متذبذباً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

علاج النفاق يكون بالصدق مع الله والناس والنفس، والحرص على مطابقة الظاهر للباطن، والإكثار من التوبة والاستغفار. قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة: ١١٩).

الكبر والعجب: الكبر من أمراض القلب التي تمنعه من قبول الحق والانتفاع بالموعظة. قال تعالى:﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾. (الأعراف: ١٤٦). والكبر يجعل صاحبه يرى نفسه فوق الآخرين ولا يقبل النصح منهم.

مجلهٔ علمی-تحقیقی پامیر/ - دپامیر علمی څېړنیزه مجله - Pamir Academic & Research Journal

علاج الكبر يكون بالتواضع وتذكر أصل الإنسان وعاقبته، والإكثار من ذكر الموت والآخرة. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ۶۳).

الحسد والحقد

الحسد مرض خطير يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وهو تمني زوال النعمة عن الغير. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾. (النساء: ۵۴). والحسد يقسي القلب ويملؤه بالغل والبغضاء.

علاج الحسد يكون بالرضا بقضاء الله وقدره، والدعاء للمحسود بالخير، وتذكر أن الرزق بيد الله يقسمه كيف يشاء. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (النساء: ۳۲).

الجبن والخوف من غير الله: الجبن المذموم هو الخوف في غير محله، والخوف من المخلوقين أكثر من الخوف من الله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. (آل عمران: ۱۷۵).

علاج الجبن يكون بتقوية الصلة بالله والتوكل عليه، وتذكر أن الأجل محدود والرزق مقدور. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. (الطلاق: ۳).

القلب والهداية في القرآن الكريم

مراتب الهداية القلبية: يذكر القرآن الكريم مراتب متعددة للهداية القلبية، فهناك هداية الإرشاد وهي عامة لجميع الناس، وهناك هداية التوفيق وهي خاصة بالمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فصلت: ۱۷)، وهذه هداية الإرشاد.

أما هداية التوفيق فهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾. (محمد: ۱۷). وهذه الهداية تزداد بالطاعة وتنقص بالمعصية.

أسباب الهداية

يذكر القرآن أسباباً متعددة للهداية القلبية، منها: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾. (الجاثية: ۳۰).

ومنها التقوى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. (الأنفال: ٢٩). والفرقان هو النور الذي يفرق به بين الحق والباطل.

ومنها الاستجابة لله والرسول:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾. (الأنفال: ٢٤).

موانع الهداية: كما يذكر القرآن موانع الهداية القلبية، منها: الكفر والعناد، قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (البقرة: ٦).

ومنها الفسق والظلم: "وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ" (السجدة: ٢٠). والفسق يحجب القلب عن الهداية ويجعله غير قابل لقبول الحق.

ومنها الكبر والاستعلاء:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . (الأعراف: ١٤٦).

القلب والتزكية في القرآن الكريم

مفهوم التزكية: التزكية في القرآن تعني التطهير والتنمية، وهي من أهم مقاصد البعثة النبوية. قال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾. (الجمعة: ٢).

والتزكية تشمل تطهير القلب من الأخلاق الرذيلة وتنميته بالأخلاق الفاضلة. وهي عملية مستمرة تحتاج إلى مجاهدة النفس ومراقبة القلب.

وسائل التزكية القلبية: من أهم وسائل تزكية القلب في القرآن: الصلاة، قال تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. (طه: ١٤). والصلاة تصل القلب بالله وتطهره من الران والغفلة.

والزكاة:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾. (التوبة: ١٠٣). والزكاة تطهر القلب من الشح والبخل وتنمي فيه خلق الكرم والإحسان.

والصيام:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (البقرة: ١٨٣). والصيام يقوي الإرادة ويهذب النفس ويزكي القلب.

علامات القلب المزكى

للقلب المزكى علامات يذكرها القرآن، منها: الطمأنينة بذكر الله، قال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. (الرعد: ٢٨).

مجلهی علمی-تحقیقی پامیر/ - دپامیر علمی څېړنیزه مجله - Pamir Academic & Research Journal

ومنها الخشية من الله:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. (فاطر: ۲۸). والخشية هي الخوف المقترن بالتعظيم والمحبة.

ومنها الإنابة إلى الله:﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾. (الزمر: ۵۴). والإنابة هي الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة.

القلب ويوم القيامة

أحوال القلوب يوم القيامة: يصور القرآن أحوال القلوب المختلفة يوم القيامة، فقلوب المؤمنين مطمئنة راضية:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾. (الفجر: ۲۸-۲۷).

وقلوب الكافرين والمنافقين مضطربة خائفة: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾. (النازعات: ۸-۹). والوجيف هو الاضطراب والخوف الشديد.

الميزان القلبي يوم القيامة: يجعل القرآن الكريم القلب السليم هو المعيار الوحيد للنجاة يوم القيامة، فلا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم:﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ . (الشعراء: ۸۸-۸۹).

هذا يعني أن العبرة في الآخرة ليست بكثرة الأعمال وإنما بصحة القلب وسلامته من الشرك والنفاق والأمراض المعنوية.

شهادة القلب يوم القيامة: يذكر القرآن أن القلب سيشهد على صاحبه يوم القيامة:﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.(النور: ۲۴). والقلب من أعظم الشهود لأنه محل النيات والمقاصد.

كما قال تعالى:﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ۱۱۸)، فالله يعلم ما تخفيه القلوب وسيحاسب عليه.

النتائج

توصل هذا البحث إلى عدة نتائج مهمة حول مفهوم القلب في القرآن الكريم:

أولاً: القلب في القرآن ليس مجرد عضو جسماني، بل هو مفهوم شامل يتضمن العقل والروح والعاطفة والإرادة معاً. وهو مركز الوعي الإنساني ومحل التكليف والمسؤولية.

ثانياً: يسند القرآن إلى القلب وظائف متعددة، منها: الإيمان والكفر، والعقل والفهم، والذكر والتدبر، والخشية والتقوى. وهذا يدل على المكانة المركزية للقلب في البناء النفسي للإنسان.

ثالثاً: يقسم القرآن القلوب إلى أنواع مختلفة: السليم والمريض والميت والغافل. ولكل نوع خصائصه وأحواله وعاقبته.

رابعاً: يؤكد القرآن على العلاقة الوثيقة بين حالة القلب وسلوك الإنسان، فالقلب الصالح ينتج سلوكاً صالحاً، والقلب الفاسد ينتج سلوكاً فاسداً.

خامساً: يقدم القرآن منهجاً متكاملاً لإصلاح القلب وتزكيته، يتضمن: ذكر الله، والتوبة، وتلاوة القرآن، والدعاء، والصحبة الصالحة، والعبادات المختلفة.

سادساً: يجعل القرآن من القلب السليم المعيار الوحيد للنجاة يوم القيامة، مما يدل على أن الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو إصلاح القلب وتطهيره.

إن هذا الفهم العميق لمفهوم القلب في القرآن يقدم أسساً قوية لبناء منهج تربوي إسلامي متكامل، يهدف إلى تكوين الشخصية المسلمة المتوازنة التي تجمع بين العلم والإيمان، والعقل والوجدان، والظاهر والباطن.

مجلهٔ علمی-تحقیقی پامیر / - دپامیر علمی څېړنیزه مجله - Pamir Academic & Research Journal

المصادر

القرآن الكريم

أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. (٢٠٠١م). المسند. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الأصفهاني، الراغب. (٢٠٠٩م). المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق: دار القلم.

الجوزية، ابن قيم. (١٤٣٢هـ). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. الرياض: مكتبة المعارف.

الجوزية، ابن قيم. (١٩٩١م). إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. (٢٠٠٠م). جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد. (١٩٨٧م). القلب في القرآن الكريم. القاهرة: دار الشروق.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. (دت). إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة.

مصطفى، أحمد فريد. (٢٠٠١م). القلب والفؤاد في القرآن الكريم. القاهرة: دار السلام.

منظور، ابن. (١٤١٤هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة. (١٩٩٢م). أجهزة الإدراك عند الإنسان بين الفلسفة والتصوف والقرآن. دمشق: دار القلم.